أناشيد مفرحة
حول عيد الميلاد المجيد

مؤتمر خطير حول طفل المذود

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

إعداد: القمص تادرس يعقوب ملطي

من ميامر على عيد الميلاد المجيد

أناشيد مُفرِحة حول عيد الميلاد المجيد

مؤتمر خطير حول طفل المذود

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

مقدمة

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين.

في السنوات الأخيرة التهب قلبي شوقًا أن أتمتع مع بقية إخوتي بمشاعر الفرح العجيبة التي تهز قلب القديس مار يعقوب السروجي. فمع كل ميمر أقرأه له، أشعر بالحق أن أعماقه الداخلية تتمتَّع بعربون السماء المُتهلِّلة بحب الله الفائق نحو خلاص البشر ومجدهم الأبدي.

كثير من إخوتنا الآباء السريان ومن الدارسين لكتابات القديس مار يعقوب ينشغلون بفحص كتاباته ودراستها وترجمتها إلى اللغات الحديثة، وهذا عمل علمي رائع، لبنيان كل نفسٍ حريصة على التمتُّع بحق الإنجيل ونموها في الروح. أما ما اشتهته نفسي ليس كدارسٍ، وإنما كخادمٍ مُشتاق إلى رفع كل قلوب البشرية إلى خبرة عربون السماء، فقد وضعتُ في قلبي أن أُرَكِّزَ على فكر القديس. هذا ما دفعني إلى اقتباس بعضًا مما ورد في كتاباته عن عيد الميلاد المجيد.

وقد جاءت كتاباته في هذا الصدد تُصَوِّر لنا الكثير مما يسند قلوبنا في هذا العالم حتى نلتقي بكلمة الله المتجسد المهتم بأن يُعِدَّ لنا مكانًا في أحضان أبيه ليأتي بموكبه السماوي على السحاب، ويضمنا إليه، وينطلق بنا إلى الأمجاد الأبدية بروح الفرح والتهليل.

سمات كتاباته عن عيد الميلاد

١. **عمل الثالوث القدوس:** ما يلهب قلب القديس مار يعقوب السروجي أن الثالوث القدوس يشغله محبوبه الإنسان، فإن "الله يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٤). فإن كان كلمة الله يُحبنا وتجسد لأجلنا، فإنه هكذا أحب الله (الآب) العالم وبذل ابنه الوحيد لأجلنا، والروح القدس الذي يقوم بتقديسنا الدائم لنحمل أيقونة المسيح القدوس هيّأ القديسة مريم البتول للتجسد.

٢. **ظهور آدم الجديد وحواء الجديدة:** في كتابات القديس يعقوب السروجي يكشف عن مرارة البشرية قبل تجسد كلمة الله وميلاده الجسدي. عانت البشرية من الفساد الذي حلّ بها، واللعنة التي حلت بالأرض، والعنف مع الظلم والكراهية التي سادت المجتمعات كسماتٍ لمملكة إبليس، حيث انتشرت عبادة الأصنام، ووُضع العالم في الشرير. أما وقد جاء المسيَّا المخلص، آدم الجديد كعريس سماوي، أقام من البشرية الفاسدة عروسًا عذراء طاهرة عفيفة (٢ كو ١١: ٢) دستورها الحب وغايتها التمتع بالحياة السماوية. هذه هي حواء الجديدة التي تلد بالمعمودية أولادًا لله، يقودهم روح الله القدوس، ويقدّسهم ويجددهم على الدوام، ويُشكّلهم على صورة الخالق.

تحوّلت حياة المؤمنين إلى عرسٍ سماويٍ، فلا يشغلهم سوى العريس الذي يُعد لهم مكانًا ليأتي ثانية ويأخذهم إلى سماواته. كتابات القدّيس بوجه عام تدفعنا للانشغال بمركزنا الجديد والتمتع بالإمكانيات

الإلهية التي يقدمها لنا آدم الثاني نحن أعضاء كنيسته، حواء الجديدة.

٣. **حوارات مُفرِحة:** جاءت ميامر مار يعقوب تضم حوارات كثيرة مُمْتِعة، تبعث روح الرجاء والفرح في حياة المؤمنين. يدخل في هذه الحوارات ملائكة، وشياطين؛ القديسة مريم والقديس يوسف النجار، القديسة اليصابات، والمجوس الحكماء والرعاة، وهيرودس الملك، والقيادات اليهودية.

٤. **انهيار مملكة إبليس:** خصَّص القديس ميمرًا يكشف فيه عن خيبة أمل إبليس وكل قوّاته، إذ رأوا شمس البرّ يشرق، فتتبدَّد ظلمتهم، وينهار سلطانهم على البشر. بنظرة إنجيلية مفرحة يتصور القدِّيس انعقاد مؤتمر خطير تحت قيادة إبليس نفسه وعضوية ملائكته الأشرار، يدرسون فيه ما تعرّضت له مملكة الظلمة، بميلاد شمس البرّ، الذي يشرق على الجالسين في الظلمة (لو ١: ٧٩) ، والشفاء في أجنحته. خلال هذا المؤتمر يستعرضون بعض أحداث ميلاد السيد المسيح، ويدرسون خطة معلمهم العظيم إبليس للخلاص من هذا المولود. في هذا المؤتمر تكشف الملائكة الأشرار عن نظرتهم لإبليس كمعلمٍ خطيرٍ، ومدبّرٍ لمملكته، له سلطانه كما له فكره الجبّار وقدرته على التنفيذ. مع كل هذه الإمكانيات لم يملّ القدِّيس من ترديد ما وُهب للمؤمن من سلطان يتحدّى إبليس وكل ملائكته وخططهم ومؤامراتهم وخداعهم!

٥. **مجد عجيب وتواضع فائق:** يقارن القديس بين عمل الله مع حكماء بابل (المجوس)، فيُرسل لهم كوكبًا خاصًا، ليُدرِكوا مجد ذاك الذي جاء لأجل خلاصهم، بينما يذهب كلمة الله المتجسد المتواضع بنفسه في طفولته إلى أرض مصر التي استعبدت شعبه طويلاً. إنه المخلص الممجد والمتواضع الذي يستخدم كل وسيلة لخلاص البشر محبوبيه.

مؤتمر خطير حول طفل المذود[1]

طفل المذود وهدم مملكة إبليس

انفرد القديس مار يعقوب السروجي بتصوير موقف مملكة إبليس من هذا الطفل العجيب. بفكره الروحي العميق وخياله الخصب وأسلوبه المشوّق تصور انعقاد مؤتمرٍ خطيرٍ حول طفل المذود. أعضاء هذا المؤتمر هم الشياطين تحت قيادة رئيسهم نفسه "إبليس"، لقد أدركوا انهيار مملكة الظلمة بتجسد كلمة الله. هذا الموقف سحب قلبي، وشغل فكري، ووجدت نفسي مُلزماً أن أقوم بتقديمه في اختصارٍ شديدٍ مع محاولة الاحتفاظ بأسلوب القديس مار يعقوب السروجي ما استطعت.

وإنني أشعر بالتزامٍ أن أنشُرَ هذا الميمر مع تعليقاتٍ لكي ندرك ما صار لنا من إمكانيات وسُلطان لنتحدّى مملكة الظلمة بطفل المذود، فلا يكون لها موضع فينا!

إنه ميمر يمس حياتنا ونصرتنا ومجدنا بالمسيح، محطم الشر وواهب البرّ. نتلامس خلاله مع وعد رب المجد: "لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت" (لو ١٢: ٣٢).

طفل المذود وموقف إبليس

طفل المذود هو كلمة الله، **النار الحيّة الآكلة** (تث ٤: ٢٤)، الملتحف بالأقماط، لكن ترتعب منه الشياطين التي هي أشبه بالشوك والحسك، تحولها النار إلى رماد. إنه راعي القطيع وقد صار **حملاً**، ومع هذا تهرب منه الذئاب، فإنها إن افترسته يفجر معدتها ويدمرها. وهو **النور الذي يبرق في كل المسكونة**، فتبددت ظلمة إبليس التي تحتضن الأصنام. لقد التقى إبليس بملائكته الأشرار (الشياطين)، كما في مؤتمرٍ يبحثون معًا أمر طفل المذود العجيب، الذي أفسد خططهم. فماذا تم في هذا المؤتمر؟ وما هي قراراتهم؟ يبدأ القديس باستعراض افتتاحية المؤتمر مع إلقاء رئيس المؤتمر كلمة موجزة تكشف عن ارتباكه الشديد وعجزه التام عن تقديم تحليلٍ منطقيٍ لما حلّ به وبمملكته.

❖ لفّت **النار الحيّة** نفسها داخل الأقماط، وشعر بها الشوك والحسك، فخافا وارتعبا.
صار راعي الأغنام **حملاً** في وسط رعيته، ونظرت الذئاب ذلك، وبدأت تهرب من رعيته...
أشرق بغتة **برق النور** في جميع المسكونة، واستضاءت الأرض، وأظلمّت جميع الأصنام...
قال الشرير (إبليس): ها برق النور قد أصابني، ولم أعلم ولا عرفت ما هو السبب.
من يُفضَح بإشراق النور غيري أنا، فإنني مجتهد أن أتمم كل ما اختاره في الظلام...
أقمت الآلهة (الوثنية) في الظلام ودعمتها، وإذ يُشرق النور عليها يُبطلها!

---

[1] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٢، ص ٢٧٩ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميمر: "على ميلاد ربنا بالجسد وإبطال ضلالة الشياطين" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

إنني ناجح وماهر في كل المؤذيات، لكنني لا أقدر أن أُهيّئ طريقي في النور. إني أُبغض النور، وأجلس أنا وأنتم في الظلام إلى الأبد. إني أعرف أنه إذ يفضح النور ضلالنا، تُبغض الخليقة أعمالنا وتنتهرها. ليس لكلمات الطغيان أن تسلك في طريق النور، فلا تسمحوا بالنور أن يظهر، لئلا يطردنا من كل المواضع.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

الشياطين تطلب توضيحًا من رئيسهم

لأول مرة تُصدم الشياطين في رئيسهم إبليس الذي كانت تظن أنه أقوى أقوياء الخليقة كلها، وقد ظهرت عليه علامات الضعف الشديد. شعرت بخطورة الموقف، فلم تستطع الصمت، بل طلبت منه أن يجيب على تساؤلاتهم، ويوضح لهم حقيقة الأمر.

❖ قالت له الشياطين لابسة الطغيان: ماذا نفعل؟ أنت معلمنا، ونحن نسلك حسب تعليمك.
من يُعرِّفنا عن سبب ما حلّ بكهنتنا (كهنة الأوثان) سواك أنت يا إبليس الذي تعلمنا؟
من يُعلّمنا عن علة النور الذي يحطمنا إن لم تقم أنت بالفعل بتعليمنا؟
قال الشرير (إبليس): إنه ليس وقت للحديث الطويل. لأُسرع وأنظر هذا العمل الذي أرعبني!
لتهدأوا إلى ساعة، حتى أخرج وأذهب أفحص من أين أشرق النور الذي ظهر فأرعبني. سأجول في البلاد، وأطير في العلو، وأهبط إلى الأعماق، وأفتش الغمر، وأنطلق بعيدًا، وأنظر السحاب... وأبلغ إلى الغلاف الجوّي، وأنزل إلى الأرض..

القدِّيس مار يعقوب السروجي

ملاك عجيب ومرعب!

شعر إبليس بالإلتزام أن يترك المؤتمر وينطلق ليبحث هذه الكارثة التي حلَّت به وبملائكته، لئلا تفقد الشياطين ثقتها فيه، فرأى أمرًا مرعبًا. ماذا رأى؟

❖ إذ ترك (إبليس الموضع) نظر من بعيد بيت لحم، ووجد ملاكًا مهوبًا، مفزعًا، مرتديًا البهاء.
أشرق نور الملاك، وصار بكُلّيته نورًا عظيمًا. نظره إبليس، واختفى منه، وهو في رعبٍ.
أطلَّ لينظر أين يمضي هذا النوراني. حلّ الملاك في صفوف الرعاة؛ وبدأ يبشّرهم بخلاص العالم.
إنهم بسطاء أُمِّيُّون، تعلّموا من الملاك الذي جاءهم بالبشارة... "ها أنا أبشركم اليوم بفرحٍ عظيمٍ مملوءٍ بغنى للعالم جميعه. أبشّركم بالمخلص المحيي، المسيح الرب، الذي أشرق من ابنة داود.
ها الطفل في بيت لحم مُقمَّط ومضطجع في مذودٍ حقيرٍ، وهو الرب المخلص".
لم يُكمِّل بعد الملاك كلامه، وإذا بجنوده جميعًا نزلوا ليسبحوا.
جعلوا الليل هناك مثل النهار، لأن لهيبهم كان أكثر بهاءً جدًا من الشمس...

ارتجّت الأرض من المجد الخارج من أفواههم، وأرعد الموضع من تهليل ألسنتهم.
إنه تسبيح لائق بصوتٍ حلوٍ، يصدر من أفواهٍ عظيمة؛ وترتيل بنغمته المدهشة يهب النفس الطوبى.
إنهم نورانيون، يرتلون للنور الذي أشرق في الظلام، ولهيب، يُعد المجد بصوتٍ مرتفعٍ.
القدِّيس مار يعقوب السروجي

اعتراف إبليس بخطورة الكارثة

أدرك إبليس أن الموقف خطير جدًا، لم يرَ مثله منذ خِلقته، فانسحب في مرارةٍ كلصٍ يود ألاّ يشعر به أحد. وذهب إلى ملائكته في خيبة أمل، لا يعرف كيف يخبرهم عن الدمار الذي يتوقعه له ولهم. أدرك أن طفل المذود هو سرّ بهجة السمائيين، وأنه حتمًا يقدم للبشر ما يفوق كل تفكيرٍ. اكتشف إبليس أن خداعه وحيله بدأت تُفضح أمام البشر، ولم يعد لمملكته موضع بعد بين المؤمنين.

❖ نظر إبليس المتمرد جوقة الملائكة فارتعب، وانسحب قليلاً قليلاً كالسارق.
صُدم المُظلم بأشعة بني النور، وانصرف من عندهم كالدخان أمام الريح.
رجع إبليس يحمل الويل لبني جنسه، وقد امتلأ فمه ببشارة مملوءة بكل حزنٍ.
تعالوا انظروا الكارثة التي حلّت بنا في بيت لحم، فإنه من هناك حلّ بنا ما أرهبنا...
تعالوا، اسمعوا ضجة الملائكة في بيت لحم، فقد تزلزلت الأرض أمام هتافاتهم.
تعالوا، ننظر من بعيد الجموع السماوية، ولا نتقدم حتى لا يعمينا بهاؤهم.
جذبت الضلالة الخوف لبنيها... نظرت الطفل ملفوفًا ومطروحًا بالمسكنة، ليس له منظر ولا بهاء ولا عظمة. حطَّم الذهول قوات المفتري، ولم يعرفوا ماذا يقولون من أجل الطفل.
عندما يتشجَّعون ليستخفُّوا بتنازله، ينظرون بتولية أمه، ويولولون من الأعجوبة.
قالت الشياطين لإبليس: فسِّر لنا أمر الصبي، هل هو إنسان أم إله؟ من هو؟... هل هو من العلا أم من أسفل؟... من أين هو، من الروحيين أم من الجسدانيين؟
القدِّيس مار يعقوب السروجي

اضطراب إبليس واعترافه بجهله وعجزه

اعتادت الشياطين أن ترى في زعيمهم إبليس الكبرياء والتشامخ، يظن أنه الحكيم والمعلم العالم بكل شيءٍ وصاحب المعرفة والأسرار. لكنه في هذا الموقف أصيب بصغر نفس أمامهم. التزم أن يعترف بجهله وغباوته وعجزه التام عن التصرف. منذ سقوط آدم وحواء في المعصية حلت البهجة الشديدة بإبليس، إذ صار يقف أثناء ولادة كل طفلٍ كمن يتسلمه منذ بداية حياته كعبدٍ له، لن يقدر أن يتحرر من سلطانه. يسجل اسمه في تعداد مملكته. أما هذا الطفل ففريد، أمه بتول وهي أم تُرضعه. تساءل عدو الخير: كيف هذا؟ وليس من إجابة! من يكون هذا المولود بدون زرع بشر؟ من هو أبوه؟ ترى هل

هو ابن الله الذي ليس من زرع إنسان؟ لكن له جسد ونفس بشرية!

❖ قال إبليس: حتى الآن كنت حكيمًا، والآن صرت غبيًا، وأدركت إني لا أعرف شيئًا.
منذ أيام قايين لم يُولد أحد دون أن أتطلع إليه، وبدوني لم يُضرب حَبَل للوالدات.
وإذا ما سمعت صوت أنين الوالدات، أفتخر بالحكم الصادر على حواء...
أما سرّ هذا الطفل، فقد سُلب مني، وحُجب عني، ولم أستطع أن أدرك خبره بوضوحٍ.
عندما حبلت الصبية به، لم أشعر كيف حبلت؛ وعندما ولدته، لم أكن قريبًا منها لأنظره.
الآن هي بتول، وماذا أقول عن مولودها، ففي دهشة يرعبني الطفل، وليس لديَّ تفسير.
منذ حواء إلى ابنة العبرانيين هذه (القديسة مريم)، لم توجد بتولية يجتمع معها لبن في جسدٍ واحدٍ.
لأنها بتول أظن أنه إله، وبتجسده أرجو أن يكون إنسانًا.
جميع طرق هذا المولود تفوق عليّ؛ ضربني ولا أعرف ماذا أقول.
إذ أرى أن الحبل به بدون زواج، أتطلّع إلى مولده أنه يفوق التفسير.
أمه بتول، فمن هو أبوه؟ إن كان أرضيًا، فابن من هو؟ لكنني لست أعرف أين هو أبوه.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

انزعاج الشياطين

أدركت الشياطين انهيار مملكة إبليس رئيسهم بمجيء مخلص العالم، ففقدوا ثقتهم فيه. طالبوه بسرعة التحرك، لأنه إن كان وهو طفل قد هزّ مملكتهم، فماذا يكون حالهم عندما يشِّب ويتحرك بقوة. لقد ظهر غباء إبليس وجهله بالنسبة لما سيقدمه هذا الطفل، فصارت كل مملكة عدو الخير في ارتباكٍ وتوقعوا الدخول في مرارة وفشل يصعب التنبؤ بها.

❖ قالت الشياطين: ماذا نقول عن هذا الطفل؟ إنه لم يظهر لك خبر ميلاده، فمن إذًا يخبرنا بذلك؟ أنت ماهر وحكيم ومتعلم ودارس، وتصيب الكل بالشرور. لكن طفلاً غلب عظمتك، وأنت لا تعلم ما حدث كقولك، فماذا سيعمل بنا بعد قليل؟ اليوم انهزم جبروتك أمامه، فمتى شبَّ إلى أين تذهب إن التقى بك؟ إن انتظرت وأطلت روحك على هذا الطفل، فسيأخذ تاجك، ويهدم إكليلك. ويزيل الأصنام ويهدم التماثيل ويُبطل الذبائح وينزع المذابح. يهدم الهياكل ويُبطل العرافة، ويُخزي كل معابد الأصنام. لقد انفضحت كل أعمالك بميلاده، فإن شبَّ يطردنا من كل مكان، ونصير في كارثة! من اليوم بدأت الأرض تستضيء به، وبعد قليلٍ تبتهج الأعماق بإشراقه.
ويلنا منه، لأنه يفضحنا ويحطّمنا، وتُسرع الأرض خلفه، وتستهزئ بنا!

القدِّيس مار يعقوب السروجي

خبر من بلاد فارس

يتخيل القدِّيس مار يعقوب السروجي أن أحد ملائكة إبليس الأشرار جاء إليهم أثناء انعقاد المؤتمر يقدم لهم خبر تحرك المجوس الوثنيين لتقديم السجود والعبادة لهذا الطفل الملك الفريد. صُدمت الشياطين جميعًا، فإن خضوع هؤلاء المجوس الحكماء الوثنيين لهذا الطفل ليس بأقل خطورة عليهم من نزول السمائيين وظهورهم للرعاة العبرانيين الفقراء، فإن في هذا إشارة لإجتماع الأمم مع العبرانيين ليصير الكل شعبًا واحدًا لراعٍ واحدٍ. لم يحتمل إبليس محب الانقسام روح الوحدة الحقيقية!

❖ إذ وقفت قوات الشيطان كما في بلَهٍ، جاءهم من بلاد فارس خبرٌ آخر أرهبهم للغاية.
جاء شيطان مُظلم مطرودٍ ومرتعبٍ. كان ينوح وهو مضطرب، يهتز وهو يعلن أخبارًا شريرة.
قال لهم: الآن خرجتُ من أشور، إذ نظرت هناك أمرًا مدهشًا على غير العادة.
رأيت كوكبًا عظيمًا لم يكن نوره من الفضاء، أشرق في السماء فاستنارت، وانْبهرت مما نظرته.
اجتمع حكماء فارس وقالوا: أشرق في اليهودية ملك يُبطل العرافة، وها المجوس حملوا له قرابينهم.
أسرعت وتقدمت لأنظر من هو، فقد أزعجني كثيرًا! إن مجيئه هو انكسار عظيم لنا.
إن لم نسرع ونخطط له حيلة، فسيحِلّ قوتنا، ويجعلنا هُزءًا، ويضحك بنا.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

مشورة إبليس

لم يكن أمام إبليس إلا أن يطلب من أعضاء المؤتمر عدم التسرع، فقد خشي أن تهتز صورته أمامهم. بالفعل اهتزت الصورة، الأمر الذي لم يكونوا يتخيلونه. حاول إبليس أن يؤكد أن في جعبته كمٌّ من الخطط لا يتصوره كائن ما في السماوات ولا على الأرض، فإنه قادر أن يفسد عمل هذا الطفل.

❖ قال إبليس: لم استطع أن أتقدم إليه، لأن قوة عظيمة جبّارة ترعبني منه.
لنهدأ الآن من هذا الطفل، لأنه أقوى منّا، ونتحيّن الوقت ونبحث عن علة لنُسبب خِصامًا.
إنني لا استطيع الآن أن أتجاهله، ولا أن أتفرّس فيه، وأنظر حركاته وتصرفاته...
لنهدأ الآن من التصرف حتى يأتي المجوس، فأقيم حربًا بسببهم. أُعد الحسد لهيرودس.
أهبه الحسد وهو يُقدّم السيف. أوعز إليه أن هذا الطفل يصير ملكًا، وبتجاهله يأخذ المُلك منه.
أمزج له الحسد في الكأس وأسقيه، حتى يسنّ الحربة للطفل المولود.
لديّ كمائن وحيَل وغش وكذب وفخاخ الإثم ومصائد الزور. لن أهمل الأمر، ولن أهدأ، ولن أسكت على هذا الطفل، حتى أغلبه إن استطعت!
الطفل في هدوءٍ، والشياطين في رعبٍ! مريم ورعة، والطفل هادئ، ويوسف متواضع. والشياطين مضطربة، لأنهم نظروا ما يرعبهم...

صارت الشياطين في بلَهٍ بكل اختلاف أشكالهم، وانسحقوا معًا في اضطراب.
تجمَّد إبليس في مكانه وهو ينحني للطفل مع ملائكته ويقوم، وارتعبت كل طغمته من المولود وهم يرتعشون. كلما تفرّسوا ونظروا البتول تقدم حليبًا، كانوا ينوحون بسبب ما حلّ بهم من دهشة.
كانت ترعبهم الثمرة التي صارت بدون زواج، وحضن الأم المختوم والمحفوظ بالبتولية.
الطفل الراقد في المذود يَرهبه السمائيون، الموضوع في المغارة يُحرِك البابليين ببهائه.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

خداع إبليس وتقديمه حيلة للعبرانيين

يرى القدِّيس مار يعقوب السروجي أن عدو الخير إبليس لم يجد أمامه وسيلة سوى التظاهر بالخضوع للطفل والاهتمام به، وفي نفس الوقت يحمل له كراهية دفينة وبُغضة، وقد بثَّ هذه الحيلة أيضًا في اليهود الذين تظاهروا بالبحث عن المسيَّا المخلص وهم يودّون الخلاص منه.

❖ قال الطاغية: إني سأهتم بأمر المولود، وأغلبه بالمظهر والخداع. لي من يُحبَّني، وهم يبغضون الحق مثلي... إنهم يسفكون الدم، ويلقون حربتهم ضد الأبرار، أُعلِّمهم الغش وآمُرهم باستخدام الكذب.
أفتحْ لهم الطريق ليفعلوا كل إرادتي، وكالعادة يلتقون بالطفل ويُسعدوني بقتله...
فقد صيَّغ العجل بيد هارون، وأهان موسى، وألقى ارميا في الجب...
نُقيم الآن ابنة أورشليم مقابل الطفل، تلتقي به وهي مملوءة غشًا.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

تسبحة ختامية مُفرحة

ختم القدِّيس مار يعقوب السروجي هذا الميمر بتسبحةٍ مفرحة يقدمها لطفل المذود الذي حطم مملكة الشيطان، وصالح السمائيين مع البشر، والشعب مع الشعوب.

❖ قول مدهش: الطفل هادئ داخل الأقماط، ويرتعد منه جميع أهل اليسار.
عن طريق الميلاد دخل (ربنا) إلى الخليقة وأضاءها، ولم يعرف جميع الشياطين أين هو مكانه.
بميلاده صالح السمائيين والبشر، وصنع السلام بين العلويين والأرضيين.
علَّم التمجيد للبشر والملائكة، والهدوء في العلوّ، والسلام في الأعماق.
بميلاده الجديد فرح السمائيّون وسُر السُفليون، واستضاءت الخلائق بالابن الذي جاء وفرَّحهم بميلاده.
الملائكة مبتهجون، والبشر مسرورون، والشياطين يكمدُّون. حزنت الشياطين لأنها نظرت النور فأرهبها. مُجِّدت السماوات، وفرحت الأرض، وارتعدت الأقطار، لأنه من بيت لحم أشرق خلاص عظيم للخليقة.
سار المجوس بهداياهم وتكريمهم، وجاء الرعاة بقرابينهم وتمجيدهم.

هتف الملائكة بأغصانهم وأصواتهم، وفرحت مريم ببتوليتها ومولودها.
ابنها سكب فرحًا وبهجة على كل الخليقة بالبهاء. المجد للآب الذي أرسل نورًا للعالم كله.
القدِّيس مار يعقوب السروجي

إرسال الكوكب

أرسل كلمة الله رسولاً هادئًا يتكلم بلغة النور، فجذب المجوس بالنور!

❖ ماذا كانت الغاية من الكوكب الذي أُرسل؟ ولماذا دعا المجوس بإشراقه العظيم؟
لماذا لم يكرز هناك بنبي كما في نينوى، أو بشرهم بكارز مثل ابن أمتاي؟
لماذا لم ينزل ويعلمهم مثل إشعياء أن البتول تحبل وتلد ملكًا بغير زواج؟
لماذا لم يُفتح هناك طريق للنبوة، وتدعوا المجوس باستعلاناتها الإلهية؟
لأي غرض نزل عندهم كوكب النور، وبأي صوت زرع بشارة الميلاد في آذانهم؟
رسول هادئ ولم يتكلم إلا بإشراقه، فكيف كرز التعليم، وكيف قُبل؟
لماذا لم يُرسل نبي كما قلتُ، بينما حلّ الكوكب محل طريق الكرازة؟[1]

❖ انحنى الأقوياء(المجوس) على وجوههم متوسلين إليه، والأم البتول بحكمةٍ تفكر في قلبها.
قالت الطوباوية مثل هذه العبارات للمجوس الذين سجدوا للابن بتكريمهم له:
أيها الناس كيف رأيتم هذا الملك؟ ومن أرسلكم؟ اكشفوا لي السرّ، مَن أخبركم عن مملكته؟...
أين هو تاجه إن كان ملكًا كما تقولون؟ ها أنتم تنظرون الفقر الذي لا يفارقه، وأنا أمه فقيرة ومعوزة.
أين صفوف الشعب المحيطة به، وكم من الجنود تجدون أمام أبوابه لإكرامه.
كم من حملة السلاح يوجدون معه حسب كلمتكم، وكم من راكبٍ معه الآن كما تقولون.
كم من فوج أرسل أمامه إلى البلدان، وأية أفواج من خدامه موجودة معه.
هل وجدتم ذهبًا أو فضةً كما في بيوت الملوك؟ وهل له غنى أو سلطان يُكرم به؟
هل يقف العبيد أو يطيعه الخدام؟ وهل الصفوف ممتدة أو هل يتبعه جيش؟
هل تاجه عظيم؟ أو له مركبة للاحتفاء به؟ وهل لباسه يلمع؟ أو هل صُفّت في إكليله الأحجار الكريمة؟ ماذا يوجد فيه يُظهر أنه ملك كما تقولون؟ ومَنْ ألزمكم لتنظروا وجهه بالقرابين؟
استقبلتموه بالعوز والفقر، ومَن بشّركم بمملكته الحقيقية؟[2]

---

[1] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٣، ص ٢٨٥ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميمر: "على ميلاد ربنا بالجسد وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني)؛ الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

[2] المراجع السابقة.

لم أتزوج لأصبح أمّا، وكما تنظرون بتوليتي محفوظة، وها أنكم ترون لي طفلاً.
لم أعرف ماذا يشبه الزواج، وها قد جُعلتُ في طقس المتزوجات.
لم أعرف آلام النساء ماذا تشبه، لكنني وَلَدتُ بالقداسة دون أن يعرف (أحدٌ).
لم أعرف رجلاً، وبغير العادة قبلتُ حبلاً، أنا أم بدون زواج وتزويج.
واحد روحاني زرع فيّ البشارة الممتلئة عجبًا، وحبلتُ بدون حركات رجل، وأنا طاهرة.
لقد سألته: كيف يتم ما تقول؟ فسَّر لي (قائلاً): الروح القدس يحِّل عليكِ. وقوة العلي تظللكِ بالقداسة، وتلدين ولدًا، لن يكون لملكه انقضاء.
مع ذلك الصوت قبلتُ الحبل المملوء عجبًا، وولدتُ ملكًا، ولم يشعر به أحد إلا أنتم.
أنا مظلومة بسببه، فكونوا لي شهودًا بين الظالمين، لأكشف عن وجهي، وازدري بهم، لأنهم ظلموني وثلبوني. هلم أيها البعيدون وتحدثوا عن خبره للقريبين، وبكتوهم عسى يعترفون أنه ابن الله. اصرخوا في آذان الشعب الأخرس، لعله يسمع ويشعر قليلاً بفضل أخباركم السارة[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

[1] المراجع السابقة.

انفرد القديس مار يعقوب السروجي بتصوير موقف مملكة إبليس من هذا الطفل العجيب. وبفكره الروحي العميق وخياله الخصب وأسلوبه المشوِّق تصوَّر انعقاد مؤتمرٍ خطيرٍ حول طفل المذود. أعضاء هذا المؤتمر هم الشياطين تحت قيادة رئيسهم نفسه "إبليس"، لقد أدركوا انهيار مملكة الظلمة بتجسُّد كلمة الله.

هذا الموقف سحب قلبي، وشغل فكري، ووجدتُ نفسي مُلزَمًا أن أقوم بنشر هذا الميمر مع تعليقات لكي نُدرك ما صار لنا من إمكانيات وسلطان لنتحدَّى مملكة الظلمة بطفل المذود، فلا يكون لها موضع فينا!

إنه ميمر يمس حياتنا ونصرتنا ومجدنا بالمسيح، مُحطِّم الشر وواهب البرّ.